لم أفهم ولن أفهم

سونيا بيروتي

كنت ظننتني عدت منْ غربتي. حين حصلت الذكرى اعادت الى رأسي كل ما طردتُ من صور، واعادت الى عقلي كل ما نظفتُ من افكار، والى جسدي كل ما انتزعت من اوجاع.

بدأت غربتي يوم ١٣ نيسان. واستمرت حتى انتهت الحرب واختفت الاسلحة وزالت مظاهرها، وان بقيت آثارها.

يوم ١٣ نيسان لم اشعر بالخوف. ولا ادعي اني تصورت ما سوف يكون ويتمدد ويطول.

كل ما احسست هو اني غريبة، او على الاصح عقلي غريب، عما جرى ويجري. كالبلهاء لم اكن أتوقع ولا حتى في احد مناماتي، ما كان يُدَبّر له وما صار يتطور ويتبلور ويستمر.

وراحت غربتي تزداد كل ساعة وكل يوم. وتتعمق غربتي مع توالي المآسي واستفحالها بين يوم ويوم.

لا افهم هذا الفريق ولا ذاك. وان أنا حاولت الفهم وأصغيت للطروحات والمبررات، بقيت طوال ايام الشؤم لا افهم الوسائل التي لجأ اليها هذا الفريق وذاك.

لم افهم، ألا توجد وسيلة للتعبير عن الاختلاف بالرأي والتباين في وجهات النظر، سوى اطلاق المدافع على رؤوس الناس وتمبيط الابنية على اجسادهم.

لم افهم كيف ان تدمير المدن واحراق القرى والقتل بلا سبب ولا ذنب، سوف يحل مشاكل المتخاصمين ويزيل اسباب الخلاف.

كنت كالبلهاء كلما ارتجف قلبي من صوت انفجار ادعو الى الله ان يقطع يد المفجر.

العنف يولد العنف.

او على الاقل اطلب ان يشلها فلا تعود تستطيع الوصول الى السلاح. هذا بعد استعادة قدرتي على التفكير ومحاسبة نفسي.

او على الاقل اطلب ان يشلها موقتاً كلما اقتربت من السلاح. هذا بعد ان اتنفس واستعيد شعوري الانساني.

تذكروا ١٣ نيسان، وفي الذكرى عبرة. او هذا ما تفترضه النوايا الحسنة. ولعل هذه النوايا ما تزال موجودة.

اما انا شخصياً، فقد رجعت الى غربتي. ولا احب ان استذكر ما يحصل وما يجري وكيفية التعاطي مع هذا الحاصل والجاري، حتى لا ألتزم غربتي ولا اعود أرجع ابداً.